



«كان السؤال الذي شغل المراقبين عقب الاتفاق الإيراني – الأميركي هو: هل ستتخلى إيران حفاظاً عن برنامجها النووي غير الإسلامي؟ لكن الذي شغلني سؤال آخر، هو: هل ستستبدل إيران شيطانها الأكبر الذي تجلّت به طوال ثلاثة عقود بشيطان أكبر جديداً، أم إنها ستغتير تكتيكاتها من توظيف شيطان أكبر إلى شياطين صغار متوزعين ومتتنوعين في وساوسهم وفق المرحلة النووية الجديدة؟!».

بهذا السؤال ختمت مقالتي المنشورة هنا قبل أكثر من ثمانية أشهر، في 8 نيسان (أبريل) 2015، تحت عنوان (لعبة الشيطان الأكبر)، وللأسف أن توقعاتي قد صدقت، وكانت إيران عند سوء الظن بها! هي إيران تعلن، ومن دون مواربة، تخليها المطلق عن (الشيطان الأكبر) الذي وظفته قرابة أربعين عاماً مصيدةً لمن تروق لهم اللافتات الطهورية المخادعة، ولمن تستهويهم الشعارات المخدرة.

لإنصاف، فإن لعبة الشيطان الأكبر ليست جديدة في ألاعيب السياسة، فدول كثيرة استخدمتها من قبل، إما ضد: الصهيونية أو الإمبريالية أو الشيوعية أو القومية العربية أو الصحوة الإسلامية.

إيران ليست وحدها التي تستخدم الشعارات لكسب المتعاطفين، أو لخداع الجماهير، فدول عربية كثيرة استخدمت، في مراحل معينة، شعارات محددة، إما لزيادة شعبيتها أو لمنع انحسار شعبيتها، خصوصاً بعد هزيمة أو انتكasaة تحدث لها. من أشهر الشعارات التي عرفها جيلي مثلاً: «ادفع ريالاً تنفذ عربياً» و «سنرمي اليهود في البحر» و «جبهه الصمود والتصدي» و «تزوجتُ القضية»!

كما أن الدول الغربية «المتحضرة» ليست بريئة من مثل هذه الممارسات الخداعية، فهي تستخدم مثلاً شعار (حقوق

الإنسان) عندما ينسجم مع مصالحها، وحين لا يكون كذلك فإنها لا تتوρع عن ضرب حقوق الإنسان بالحائط.

لكن الشعار الإيراني يكتسب قباحتة المضاعفة بكونه استغل العاطفة الدينية من أجل أطماع توسيعية. «ما تختص به إيران دون غيرها في ممارسة هذه اللعبة أنها أطالت مدة اللعب بورقة (الشيطان الأكبر) لأكثر من خمس وثلاثين سنة، في ممارسة عدائية – طهورية باسم الدين، حتى إذا حانت اللحظة التاريخية لسقوط الأوراق تبين أن الشيطان الأكبر، بالتعاون مع الشياطين الصغار في الغرب، يتفاوض مع الملك الأكبر ضد مصالح الملائكة الصغار في المنطقة!».

من اليوم لن يعود نداء (الموت لأميركا) هو الوعيد الذي سيلهب حماسة الجماهير التي تنصلت لكلمات المرشد الأعلى خامنئي وهي تلوح بذراعها وقبضتها بالوعيد في وجه الإمبريالية، أو لخطابات المرشد الصغير حسن نصرالله والجماهير أمامه تضرب همامتها بالتهديد لإسرائيل. كيف يكون ذلك وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف بات يعبر عن آرائه في الدول الإسلامية (الشقيقة) من على منبر الشيطان الأكبر وفي أحضان الإعلام الإمبريالي؟!

لكن التوليفة الثورجية للجمهورية الإسلامية الإيرانية تجعلها في حاجة دائمة إلى (شيطان أكبر) تناكه العداء وتكتسب به الجماهير.

لذا، فقد كانت المدة من توقيع الاتفاق النووي الإيراني – الغربي في نيسان الماضي حتى موعد إنفاذه في كانون الثاني (يناير) الجاري، كافية لدوائر صنع القرار في طهران لصنع (شيطان) بديل يستخدمه المرشد الأعلى وأتباعه في خطاباتهم التحشيدية والتبريرية.

السؤال هو: هل سيستيقظ الذين خُدعوا طوال أربعين عاماً بالشعار الزائف، أم سيُخدعون أيضاً بالشعار الجديد، شعار: الموت «لأعداء» أميركا؟!

الحياة اللدنية

المصادر: